سير الزمان

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٨

حوادث فبراير

استقالة ايدن واتفاق روما

الانشلوس

اضطراب الوزارات الفرنسية

الطريق الى مونيخ وسرها

من ومنشن الى ليما

الحرب في أسبانيا والصين

جنوده التسلح

أقطاب الرجال

الشؤون الدولية

في سنة ١٩٣٨

توطئة

انتهت سنة ١٩٣٧ وأهلّت سنة ١٩٣٨ وليس في آفق السياسة الدولية غيوم تبعث على القلق والجزع الا غيمة الحرب الاهلية الاسبانية. وكان الامل معقوداً حينئذٍ بامكان الاتفاق على تنفيذ مشروع عدم التدخل بسحب المتطوعين الاجانب من اسبانيا ، على ان يلي ذلك توسط يزيل اسبانيا من حلبة السياسة الدولية كباعث من بواعث الاضطراب. الا ان الكتّاب السياسيين الذين ظنوا هذا الظن ما كان في وسعهم أن يتصوروا ما سوف تجيء به السنة الجديدة من الحوادث الجسام ، التي غيرت من الخارطة الاوربية وبدلت من أوضاعها السياسية ، واقتربت بدول أوربا الكبرى من شفير حرب عامة . فسنة ١٩٣٨ تتصف بأنها كانت أقتم سنة مرت بالعالم بعد انتهاء الحرب الكبرى ، ولولا مقت الشعوب الصادق للحرب ويلاتها ، وبقية حكمة وتعاقل في رؤوس بعض الاقطاب لكنّا الآن لهاثي من هذه الويلات ، مالا يتصوره خيال

مرادث فبراير

لعل شهر فبراير من سنة ١٩٣٨ كان أهم شهر في السنة الماضية ما عدا شهر سبتمبر، من ناحية الحوادث التي حدثت فيهما . بل لعل الحوادث الخطيرة التي حدثت في سبتمبر وكادت تزج العالم في حرب طاحنة ، ترتد الى الحوادث التي حدثت في شهر فبراير

كانت عادة الفهر هتلر ان يدعو الرخستاج في يوم ٣٠ يناير من كل سنة — وهو عيد تقلده منصب المستشار وكان ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ — فيلقي عليه خطبة يلخص فيها اعماله واحوال المانيا في عهد النظام الوطني الاشتراكي ، ثم يلمح أو يصرح ببعض ما ينويه في المستقبل. ولكن انقضى ٣٠ يناير من سنة ١٩٣٨ والرخستاج لم يجتمع لسماع الخطبة التي جرت بها التقاليد ، فأخذ الناس يسألون عما يدور في طي الخفاء في المانيا ، ولكنهم لم يلبثوا بضعة أيام حتى انكشف الغطاء اذ أعلن في يوم ٤ فبراير ان المارشال فون بلومبرج ، وزير الحربية ، والجنرال فون فرتش قائد الجيش قد استقالا وان سبعة من قواد الجيش وستة من قواد سلاح الجو قد أحيلوا على المعاش : وعين الجنرال فون براوشتش قائداً للجيش وتقلد الفهر هتلر نفسه القيادة العليا للقوات المسلحة وعين الجنرال فون كايتل رئيساً لاركان حربه

ولم ينتصر عمل « التطهير » على ضباط الجيش بل امتدت يد النقل والتبديل الى وزارة الخارجية ، فنقل البارون فون نويرات وزير الخارجية رئيساً لمجلس سري يستشيره الهر هتلر في الشؤون الدبلوماسية وعين الهر فون ريبنتروب سفير المانيا في لندن وزيراً للخارجية واجرى تبديل في مناصب السفراء والوزراء المفوضين

فكانت هذه الحوادث ايذاناً بتفوق العنصر المتطرف في مجالس الحزب الوطني الاشتراكي على العنصر المعتدل واشارة الى ما قد يحدث في المستقبل القريب . وفعلاً لم ينقض اسبوع على هذا الحادث حتى دعي الدكتور شوشنج مستشار النمسا الى برختسجادن حيث أبلغهُ الهر هتلر — وكان يحيط به اقطاب الحزب والجيش — ان النمسا تتصرف تصرفاً لا يليق بدولة جرمانية او هو تصرف مناقض لاتفاق ١١ يوليو ١٩٣٦ وأملى عليه وجوب تعديل وزارته بحيث يدخلها الهر تسايس انكوارت النازي النمسوي وزيراً للداخلية . وقد حاول الدكتور شوشنج في هذا الاجتماع أن يؤيد موقف حكومته والدفاع عن استقلال النمسا باجراز مشروع لأخذ النمسا بالمنكب قبل انهُ وجد في مقر الحزب النازي النمسوي، ولكن الغضب البادي في حملة الهر هتلر عليه ، ومظاهر القوة ممثلة في انقلاب الجيش أقنعاه بالخطر الذي يواجههُ فخرج من برختسجادن ، عائداً الى فينا وهو مغلوب على أمره

وأعلن في المانيا ، ان الخطبة التي كان ينتظر ان يلقيها الهر هتلر يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٣٨ سيلقيها في ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٨ وما كاد مساء عشرين فبراير المذكور ينتهي حتى كانت الخطبة قد أُلقيت ، ولكن اسلاك العالم البرقية كانت مشغولة حينئذٍ بنبإ حجبها ، نعني نبأ استقالة المستر انطوني ايدن من وزارة الخارجية البريطانية

استقالة ايدن واتفاقه روما

كان الخلاف بين المستر ايدن والمستر تشمبرلين قد بلغ أشده في ذلك اليوم على موضوع التفاهم مع ايطاليا. فايدن من اولئك الساسة المثاليين الذين أملت عليهم معرفتهم بوقائع الحالة الدولية ان يقف موقفاً حازماً ، من مطامع البلدان الدكتاتورية ، والوعود التي تقطعها ثم تتنكر لها. والمستر تشمبرلين من اولئك الساسة العمليين ، الذين يعتبرون الاعمال السياسية كالاعمال التجارية التي تُرعرع في احضانها . فالاول لايريد أن يتفق مع ايطاليا الا اذا أقامت الدليل الفعال على حسن نيتها بتصفية المسألة الاسبانية ، والثاني يعتقد ان التفاهم معها مستطاع بقليل من حسن النية. وتعذر على المستر ايدن ان يقتنع بموقف رئيسه ، فاستقال فهزت استقالته الوزارة البريطانية، ولكن ما لبثت الحالة الداخلية في بريطانيا حتى استعادت استقرارها وعين لورد هاليفاكس — نائب الملك سابقاً في الهند — وزيراً للخارجية محل المستر ايدن

ومن ثم أقبل المستر تشمبرلين على بذل المسعى للتفاهم مع ايطاليا (٢١ فبراير)، وعهد بإجراء المفاوضات الى لورد بيرث سفير بريطانيا في روما ، فاتصل بالكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا لهذا الغرض مدى شهرين تقريباً . فلما حدث حادث ضم النمسا الى الريخ الثالث في أوائل مارس — وسبحي ، ذكره فيما يلي — كان لهذا الحادث صدى كبير في نفوس الايطاليين ، فاستعجلت المفاوضات الدائرة بين بيرث وتشانو حتى انتهت الى اتفاق روما المشهور الذي وقع في روما يوم ١٦ ابريل قبيل أحد الفصح المجيد ،

وقد انطوى هذا الاتفاق على بروتوكول وثمانية ذيول واتفاق حسن جوار تشترك فيه مصر ورسائل عدة تبادلها الكونت تشانو ولورد بيرث ووزير مصر المفوض في روما . أما البروتوكول فقد أكدت فيه رغبة الدولتين في وضع العلاقة بينهما على أساس دائم يعزز قضية السلام وانه متى وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ تجري مفاوضات لوضع اتفاقات خاصة بحدود السودان وكينيا والصومال البريطاني من ناحية وشرق افريقية الايطالي من ناحية أخرى . أما الذيول فأحدها أكد الاتفاق الانكليزي الايطالي الذي وقع في روما في ٢ يناير ١٩٣٧ خاصاً بالبحر المتوسط والمحافظة على الحالة الراهنة فيه ونفى نية ايطاليا أن تبدل من موقف اسبانيا وممتلكاتها ، ونص آخر على تبادل المعلومات الخاصة بالاعمال الادارية وتبديل توزيع القوات البحرية والجوية والبرية في الاراضي الواقعة على سواحل البحر المتوسط والبحر الاحمر وخليج عدن وغيرها اجتنابا لسوء الظن ، وفي ذيل آخر تعهدت الدولتان باحترام وحدة واستقلال المملكة السعودية واليمن واتفقتا على أنه من مصلحتهما ألا تتدخل دولة ثالثة هناك . وطلب الرابع موضوع الدعاية في الشرق الادنى وخامس موضوع بحيرة ناما وفي السابع والثامن تعهدت ايطاليا بألا تجند من الاحباش الا ما يلزمها لاعمال البوليس والدفاع المحلي

أما في المذكرات التي تبودلت فقد تعهدت ايطاليا بنقص قواتها في ليبيا بمعدل ألف في الاسبوع حتى تصبح قواتها هناك في منزلة القوات المألوفة إبّان السلام . وتعهدت بريطانيا بأن تبذل مساعيها اللازمة في مجلس عصبة الامم للاعتراف بالسيادة الايطالية أو لازالة العراقيل التي تحول دون الاعتراف بالسيادة الايطالية في الحبشة . واشترطت بريطانيا ألا ينفذ الاتفاق الا بعد تسوية المسألة الاسبانية ، ولكن لم يبين معنى « التسوية » وكيف تكون

وعلى هذا وقع اتفاق روما في ١٦ ابريل ، وبدا لمتتبعي السياسة البريطانية أن تشمبرلين نجح حيث اخفق ايدن مع ان كثيرين ظلوا يعتقدون ، ان اسبانيا — وهي الحلك لحسن نية ايطاليا — ستوقظ اتباع تشمبرلين الى خطأهم وتفهمهم الى حقيقة الحال ، وفعلاً ظلوا على رأيهم هذا ، حتى ١٧ نوفمبر عندما اقترح المستر تشمبرلين تنفيذ الاتفاق . فانهم اعترضوا عليه ، بأن سحب

عشرة آلاف من المشاة الايطاليين من اسبانيا ، لا يمكن ان يعتبره عاقل حلاً او تسوية للمسألة الاسبانية وما تنطوي عليه في حالتها الحاضرة من الخاطر الاستراتيجية لانكلترا وفرنسا . الا ان المستر تشمبرلين فاز على منتقديه في مجلس النواب ، فأقر اقتراح ابرام الاتفاق وتنفيذه لان الحزب المحافظ كان من ورائه بشد أزره

وبعد توقيع الاتفاق في ابريل ، عقد مجلس العصبة اجتماعه الدوري في جنيف ، وحضره لورد هاليفاكس واقترح فيه ان يُحَلَّ أعضاء العصبة من القرار السابق الذي مداره « عدم الاعتراف » بأي تبديل جغرافي يتم بالقوة ، فقبل الاقتراح ، وكذلك حلت بريطانيا وفرنسا من قيد « عدم الاعتراف » ، وفي نوفمبر أرسلت الاولى اوراق اعتماد جديدة الى سفيرها في روما موجهة الى « الملك والامبراطور » فكان ذلك ايذاناً بالاعتراف الموعود ، وجارتها فرنسا فعينت المسيو فرنسوى بونسيه سفيرها سابقاً في برلين سفيراً في روما وارسلته بأوراق اعتماد موجهة الى الملك والامبراطور كذلك ، بعد ان ظلت سفارتها في روما نحو سنتين لا يشغلها الا موظف من درجة قائم بأعمال

الاندلوسى

عودة يسيرة الى الوراء . فقد قلنا في ما تقدم أن الهر هتلر أنذر الدكتور شوشنج بوجوب تعيين الهر نسايس انكوارت وزيراً للداخلية فعينه في ١٦ فبراير . ولكن ما عاد شوشنج الى فينا مغلوباً على أمره ، واتصل ببعض العناصر الراغبة في المحافظة على استقلال النمسا ، حتى استرد قليلاً من شجاعته وقوته المفقودتين في برختسجادن أمام مظاهر القوة الناشحة ، وأعلن في خطبة حازمة اللهجة ان التسليم له حدود يقول عندها « الى هنا وكفى » . وكان ذلك اشارة منهُ الى نشاط النازي النمسوي . ثم اعلن انه ينوي اجراء استفتاء يدور حول استقلال النمسا في ١٣ مارس ، فأحدث هذا القرار صدى غريباً في دوائر النازي الالمانية ، التي كانت تطالب دائماً بالاستفتاء اعتماداً على قوة اتباعها من النمسويين . ولكنها أبت ان توافق عليه الآن ، واعتمدت في ابائها على ان قرار الاستفتاء ليس من حق رئيس الحكومة ، وعلى ذلك ارسل الهر هتلر انذارين في ١١ مارس الى فينا طلب في الاول الغاء الاستفتاء وفي الثاني طلب استقالة الدكتور شوشنج وتأليف وزارة اخرى محل وزارته يكون ثلثاها من النازي النمسوي ، فاستقال الدكتور شوشنج في مساء يوم ١١ مارس منعاً للحرب وحقناً للدماء لعلمه بما يتوقع اذا أصر على البقاء في منصبه والدفاع عن استقلال النمسا . وفي يوم ١٢ مارس اجتازت الجيوش الالمانية الحدود النمسوية ودخل الهر هتلر مدينة لنز دخول الظافرين وصدرت في يوم ١٣ مارس مراسيم في برلين وفينا

أعلنت ان النمسا اصبحت جزءاً من الريخ الالماني وفي يوم ١٤ مارس دخل الهر هتلر فينا . وفي ١١ ابريل اي بعد انقضاء شهر على استفتاء الامر الناري في النمسا حدث الاستفتاء النمسوي الخاص بالانضمام الى الريخ فكانت الموافقة على هذا الانضمام ٩٩ في المائة

اضطراب الوزارات الفرنسية

حدثت حوادث النمسا وفرنسا بغير وزارة . ذلك ان المسيو شوطان كان قد استقال للمرة الثانية في سنة ١٩٣٨ وقد كانت استقالته الاولى في ١٤ يناير فقبلت وقضى رئيس الجمهورية خمسة ايام في استشارة الزعماء وعهد الى غير قطب واحد بتأليف الوزارة التي تليها . فعجزوا وأخيراً تمكن شوطان من تأليفها ثانية في يوم ١٨ يناير ، فكان تأليف هذه الوزارة الشوطانية قائماً على حزب الراديكاليين الاشتراكيين دون الاشتراكيين ، اي ان وزارة شوطان هذه كانت دليلاً على تصدع الجبهة الشعبية التي تألفت في سنة ١٩٣٦ وفازت في الانتخابات النيابية تلك السنة وكان قوامها الراديكاليين الاشتراكيين والاشتراكيين والشيوعيين . الا ان وزارة شوطان التي تألفت في ١٨ يناير لم تلبث حتى سقطت في ١١ مارس — يوم الانذار الالماني للنمسا — وفي اليوم التالي والذي يليه تم « الانشلوس » ، وكان الرئيس قد عهد الى المسيو بلوم زعيم الاشتراكيين ، فحاول ان يؤلف وزارة قومية يمتد أساسها من يمين الوسط الى يسار الاشتراكيين فأخفق في ذلك فاكتفى بتأليف وزارة على طراز وزارته الاولى اي وزارة مستندة الى تأييد الاشتراكيين والراديكاليين الاشتراكيين . ولكنها لم تعمر لانها اصطدمت بمجلس الشيوخ الذي عارض في برنامجها الاقتصادي المالي وأبى ان يمنحها السلطة المطلوبة فأثرت الاستقالة على احداث ازمة دستورية في حين ان الاخطار الخارجية كانت تهدد البلاد ، وكان ذلك بعد انقضاء شهر او نحو شهر على تأليفها ، فدعي المسيو دالاديه الى تأليف الوزارة الجديدة ، فأسسها من الراديكاليين الاشتراكيين وبعض من أيدهم من أحزاب الوسط ، وبذلك زال ظهر الصدع في الجبهة الشعبية ، فلما تقدمت هذه الوزارة الى المجلس في دسمبر بعد عودته الى الاجتماع ، تم انهيار الجبهة الشعبية عندما اقترع الاشتراكيون والشيوعيون ضد دالاديه ، ولم تفز الوزارة على خصومها في المجلس الا بتأييد احزاب الوسط واليمين

هذا التقلب في الوزارات الفرنسية مظهر للقلق الذي يسود البلاد . فالحالة الاقتصادية متفاقمة فيها ، العمال لا يرضون بديلاً عن التشريعات التي تمت لمصلحتهم في عهد بلوم الاول ، واصحاب الاموال يرون في هذه التشريعات سبيل الخطر على أموالهم ، فلا يرضون ببقائها في فرنسا خوفاً عليها والحكومة واقفة بين المطرقة والسندان ، تريد زيادة العمل في المعامل لكي تنجز أعمال

الدفاع بحيث تصبح القوة الحربية متكافئة ومكانة البلاد الدولية ، وهذا لا يكون الاَّ بزيادة ساعات العمل ، وبمورد رؤوس الاموال ، ومن هنا المراسيم التي استصدرها المسيو رينو وزير المالية الجديد ، التي جعلت اتحاد العمال على اعلان اعتصاب عام طالبةً للمسيو دالاديه بالحزم فلم يصب القائلون بالاضراب الاَّ قسطاً يسيراً من النجاح ، وكان القسط الاكبر من النجاح في جانب الحكومة . لكن هذا لا يعني ان وزارة دالاديه ثابتة ، مستقرة ، وان الحوادث الخارجية تقضي على الفرنسيين بالاتحاد ، والاتحاد الصادق غير مستطاع ما زال هناك شعور بالجور ، ولولا الخطر الخارجي لما رأينا في فرنسا حتى بظاهر الاتحاد . فالمستقبل في فرنسا قاتم على ما يلوح لنا الآن

ومما لا ريب فيه الآن ان فرنسا فقدت بعد حوادث السنة الماضية دولة من الطبقة الثانية في اوربا ولا سيما بعد ضم النمسا وانهيار نظام تحالفها في اوربا الوسطى والشرقية على اثر مونيخ

الطريق الى مونيخ ومنها

الطريق الى مونيخ مرّ بمكدن في منشوكو ثم بأديس ابابا في الحبشة ثم بنيباو في اسبانيا ثم بفينا عندما تم الانشلوس . وكان الطريق محفوفاً على جانبيه بألواح كتب عليها «لا تخفض السلاح الاَّ بعد ضمان السلامة» (فرنسا) و «أطلقوا الرصاص على هؤلاء الكلاب» (روسيا) و «احرصوا على الابتعاد عن اوربا» (اميركا) و «انقذوا العالم من الحرب» (دعاة السلام في كل ارض)

هذا الطريق المفروش بصرعى منشوكو والحبشة واسبانيا الجمهورية والعقوبات هو الطريق الذي أفضى الى مونيخ ، فأضيف الى الاشلاء التي فرش بها شلو تشيكوسلوفاكيا

لم يطل الامهال على ضم النمسا حتى بدأ كل مشتغل بالسياسة الدولية يقول ومتى يجيء دور المانيا السوفيت . والواقع ان دور السوفيت جاء في مايو ولكن حزم الحكومة التشيكوسلوفاكية حال حينئذٍ دون المأساة التي مثلت في سبتمبر ، إذ سارعت الى التعبئة ولو وقفت حوادث الحدود حينئذٍ لأفضت الى نشوب الحرب ، ولحاضتها فرنسا حتماً . وانقضت أزمة مايو ولكن مشكلة السوفيت لم تنقض

ما العمل ؟ بريطانيا تعلن بلسان رئيس وزرائها انها لا تستطيع ان تقف بمعزل عن حوادث أوربا الشرقية . وفرنسا تؤكد غير مرة لوزير تشيكوسلوفاكيا في باريس ، بأنها عازمة على تنفيذ المعاهدة التي تربطها ببراج . والصحف الالمانية ، ومحطات الاذاعة الالمانية لا حديث لها الاَّ مصائب السوفيت وما يتعرضون له كل يوم من صنوف الاضطهاد . والفوهرر هتلر يخطب فيطلب ان تكون السوفيت دولة داخل دولة . ولكنهُ لم يشر مرة الى الضم الصريح حتى تكرم به المستر تشمبرلين بعد اشارة اليه في التيمس

يوليو مضى على ذلك وأغسطس ثم جاء شهر سبتمبر الضغط من ناحية المانيا يزداد . والمارد رلسمن يحاول ان يدع حلولاً بقية التوفيق . ولكن ما فعله رلسمن في الواقع كان ان عدد التشيكوسلوفاكيين فكرة التسليم بقليل هنالك ، حتى اذا جاءتهم الضربة الكبرى ، كانت مشيئة المقاومة فيهم قد انكسرت، وكذلك ضمن تشمبرلين ودلاديه سلامة لندن وباريس، على حساب تشيكوسلوفاكيا . بين رحلة تشمبرلين الى برختسجادن ورحلته الى جودسبرج تراوح الامل بين الشعوب ، بأن يغلب الحل المعقول او تقابل القوة بالقوة ، فما كانت رحلة مونيخ ، كان التسليم فيها بأكثر مما طلبه الهر هتلر في مذكرة جودسبرج التي ألقاها تشمبرلين الى براج وأبى ان يتحمل تبعة الاشارة بقبوطا

وكذلك تغيرت خارطة أوربا للمرة الثانية في خلال ستة أشهر فضمت الى المانيا مناطق من تشيكوسلوفاكيا فيها المان وفيها تشكيون وفيها صناعات وماجم وخط من الحصون عظيمة الشأن، « وتشت » بولندة منطقة تشن . وأخذت هنغاريا منطقة في الجنوب . وصحت سلوفاكيا استقلالاً ذاتيًا . وأصبحت تشيكوسلوفاكيا المبتورة تابعاً يدور في فلك المانيا السياسي والاقتصادي وغدت بلدان أوربا الوسطى وشرقها الجنوبي ، تتراءى على أقدام المانيا ، لانها وقد كانت في الماضي تعتمد على فرنسا في الغالب ، أمست وهي لا تستطيع الاعتماد عليها ، بعد تحصين سلطة الرين وانهيار قلعة التشيك

وما نالت انكلترا ؟ سلاماً مؤقتاً وتصريحاً بأن المشكلات تحل بعد الآن بالمباحثة وبغير حرب وبأن الهر هتلر لا مطالب له في اوربا خاصة بالاراضي وأن مشكلة المستعمرات ان تحل بالقوة. ثم ذهب فون ريبتروب الى باريس ووقع تصريحاً من هذا القبيل مع المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا

ولكن لم يكد يجف حبر التصريح الاول — هتلر تشمبرلين — حتى شرع الهر هتلر واقطاب حكومته يخطبون فيحطون في خطبهم على ايدن وتشرتشل ودف كوبر وجيرفورد ثم أخيراً على بلدوين . فلما علم من عهد قريب ان خطبة للسير تشمبرلين في مأدبة الصحافيين الاجانب بلندن ستنطوي على تقريع بسيط للصحف الالمانية لانها حملت على بلدوين ، قاطع جميع الالمان من دبلوماسيين وصحافيين — المأدبة التي كانوا قد دعوا اليها وقبلوا الدعوة !

اما ايطاليا فما كادت تفوز بعد مونيخ بالاعتراف بامبراطوريتها الحبشة من قبل انكلترا وفرنسا على ما مر بك ، حتى شرعت تطالب بتونس وكورسيكا وساقويا ونيس وتعديل نظام ترعة السويس ، في مظاهرات عامة في مجلس النواب الايطالي وفي الشوارع وفي الصحف ، في الوقت الذي كان فيه الهر ريبتروب يوقع مع المسيو بونيه تصريح « لاحرب » في باريس

وهذا ليس الا قليلاً مما يقال في الطريق الذي افضى الى مونيخ والطريق الذي يمتدُّ منها الى المستقبل

من وشنطن الى ليما

الاتجاه بين جمهوريات القارتين الاميركيتين الى عقد الخناصر على الاستعداد لمقاومة كل تدخل سياسي أو ايديولوجي في نصف الكرة الغربي . وهذا يفسر النفقات الهائلة التي أقرتها حكومة الولايات المتحدة الاميركية في خلال السنة الماضية لتعزيز اسطولها الجوي بحيث يبلغ عشرة آلاف طيارة للخط الاسيامي أو اكثر ، وتعزيز اسطولها البحري بحيث يصبح لها اسطولان كبيران احدهما في المحيط الهادىء والثاني في المحيط الاطنطيقي

ولا ريب في ان نداءي الرئيس روزفلت كانا ذا شأن كبير في حسم ازمة سبتمبر بغير امتشاق الحسام ، ولكن الرئيس أعرب مع ذلك — بعيد عقد اتفاق مونيخ — عن رأيه في ان السلام لا يستقرُّ في نصابه الحقيقي بالتهديد بالحرب . ثم لمح وصرّح غير مرة ، هو وبعض اعضاء وزارته الى الشدة في معاملة اليهود في المانيا ولا سيما مروي عن المصائب التي عرضوا لها بعد مقتل فون راس في باريس . وقد استدعي السفير الاميركي من برلين ، ليشاوره الرئيس عن كثب ، ولكن قيل انهُ قد لا يرجع الآن الى برلين ، فكان هذا العمل من جانب وشنطن تقريعاً للحكومة الالمانية فاستدعت هي الاخرى سفيرها في وشنطن متوسلة بالعذر نفسه . والعلاقات الالمانية الاميركية سائرة بوجهٍ عام نحو التوتر والجفاء

ويلوح من تتبع الرأي العام الاميركي انه بدأ يتحجر ضد المانيا يدلك على ذلك رد وكيل وزارة الخارجية الاميركية المستر سومنر ولز على القائم باعمال السفارة الالمانية في وشنطن عندما جاء اليه يحتج على ما قاله وزير الداخلية الاميركية — هارولد ايكس — من تعريض رجال الحكومة الالمانية في خطبة لهُ . فقد رد عليه المستر ولز بأنهُ لا يرى وجه الحق في احتجاجه حالة ان كتاب الصحف الالمانية المقيدة بأوامر الحكومة ، بل ورجال النظام القائم أنفسهم يكتبون ويخطبون ويطوون كتاباتهم وخطبهم على اقوال فيها أشد تعريض بالرئيس وبرجال الحكومة الاميركية ، ثم وجه نظر القائم باعمال السفارة الالمانية الى ان اقوال المستر ايكس تعرب عن رأي وشعور الاكثرية الساحقة من الاميركيين

فاذا أضيف الى ذلك استدعاء البرازيل لسفيرها من برلين واجتماع مؤتمر الجامعة الاميركية في عاصمة بيرو (٩ ديسمبر ويمده) حيث أجمع الرأي على استنكار التغلغل النازي والفاشيستي في العالم الجديد أثبت لنا ذلك ان الاتجاه العام في جمهوريات القارتين الاميركيتين ضدّ الدكتاتوريات الاوربية الكبيرة فاذا استمر على ذلك في السنة الجديدة كان ذا أثر حاسم في موقف انكلترا وفرنسا

الحرب في أسبانيا والصين

في ٧ يوليو انقضت سنة على غزوة اليابان للصين ، وفي ١٨ يوليو انقضت سنتان على بدأ الحرب الاهلية الاسبانية . ولا تزال الحربان تقتضيان من البشرية ضحايا كثيرة . فاليابان ماضية في غزوتها ، حتى غدت اكبر مدن الصين في قبضتها . فقد خنست سنة ١٩٣٧ باحتلال مدينة نانكين واحتلت في اواخر سنة ١٩٣٨ مدينتي كانتون في الجنوب ، وهانكو في القلب وهي المدينة التي اتخذها الصينيون مقراً لحكومتهم بعد احتلال نانكين . ولكن موقفها العمومي في الصين لايزال على ماكان بوجه عام . فهي لاتحتل مناطق واغا تحتل نقطاً وخطوطاً . النقط هي المدن وعقد المواصلات . والخطوط هي السكك الحديدية . اما هدفها العسكري الاصيل وهو كسر شوكة الجيش الصيني ، واقصاء شانغ كاي شيك عن مقام الزعامة في الصين فما تزال بعيدة عنه . وهي لذلك تواجه في الصين مشكلة يواجهها كل غاز عسكري لبلاد واسعة مترامية الاطراف وهي مشكلة ابقاء جيش عظيم في المناطق الواسعة التي تحتلها لحفظ الامن فيها لان الشعب غير مضمون الى الفزاة والعصابات كثيرة منبثة في طول البلاد وعرضها تضرب هنا ثم هناك ثم تختفي لتظهر في مكان آخر وعلى الرغم من مظهر النجاح الباهر الذي يبدو على اعمال اليابان العسكرية في الصين ، لاتزال مهددة في مصيرها . فهي لاتزال عاجزة عن كسر مشيئة المقاومة في الشعب الصيني ، وفصم الصلة بين الزعيم وشعبه . فالغزوة الصينية قد تحولت الآن الى نضال صبر ، بين صبر الصينيين على ويلات الغزوة ، وبين صبر اليابانيين على ما تقتضيه هذه الغزوة من النفقات والمتاعب المالية والاقتصادية

اما في اسبانيا ، فقد أحرز الجنرال فرانكو في مارس ومستهل ابريل انتصارات باهرة مكنت جيوشه من الوصول الى ساحل البحر المتوسط بين برشلونة وبلنسية وكان الرأي ان الحكومة الاسبانية لا تستطيع ان تصمد طويلاً في وجه هذا التيار العسكري الحاسم ، ولكن قوات الحكومة الجمهورية صمدت لقوات الجنرال فرانكو عند نهر الايرو وكبدتها خسائر كبيرة بل وفازت عليها غير مرة وقد انقضى الصيف والخريف ودخل الشتاء ببرده القارس وأمطاره وثلوجه والموقف من الناحية العسكرية جامد بين الفريقين ، لولا بعض تحول غير حاسم فيه

أما من الناحية الدولية فلا تزال مهزلة عدم التدخل قائمة واذا كان سحب العشرة الآلاف من المشاة الايطاليين مهد لتنفيذ اتفاق روما، فلا تزال الحكومتان البريطانية والفرنسية تعارضان في منح الجنرال فرانكو حقوق المحاربين ، بقابل هذا ان رغبة ايطاليا وألمانيا في فوز الجنرال النهائي ما تنفك قائمة ولذلك ستبقى الحرب الاهلية الاسبانية حافلة بالخطر من الناحية الدولية

مبذوء التسلح

بلغت برامج التسلح خلال السنة الماضية حدها الاقصى بعد الحرب الكبرى . وحسبنا تمالي اذا قلنا ان الدول انفقت عليها خلال هذه السنة عشرة آلاف مليون جنيه . وذلك لانها جميعاً كما تزعم تبغي ان تعزز قوى الدفاع لكي تذب عن حياضها اذا هاجمها مهاجم . واذا كانت جميع الدول لا تنوي الاعتداء فمن يجوز الحذر اذن ؟

وليس الباحث بحاجة الى الحكمة الخالصة والنظر النافذ الى المستقبل لكي يدرك ان هذه الاموال التي تنفق في مواد لا تصلح للتبادل ، تصرف الصناعات عن عملها الحقيقي ، وتشغل الوفاً وعشرات الالوف من العمال بصنع بضائع — واي بضائع ! — ليست من البضائع المألوفة في عهد استتباب الطمأنينة والسلام . فعدت الحكومات الآن بين المطرقة والسندان . صنع الاسلحة والذخائر يحل مشكلة التعطل عن العمل في بلدانها — على تفاوت بينها — فلا يسعها الانصراف عنهُ الى اعمال الصناعة والتجارة المألوفة فجأة ، حتى لا تتلقفها موجة طاغية من التعطل عن العمل قد تفضي الى ثورة اجتماعية ، ولا يسعها في الوقت نفسه ان تمضي في هذا الانفاق الطائل الذي يكاد ينقض ظهر رخاء الضرائب ، وهذا علاوة على ما ينهكُ تكدس الاسلحة من روح الحرب او جوها

وليست الدول الكبيرة ، التي لها موارد غنية من الثروة هي وحدها المقبلة على هذا النوع من الترف الجنوني — كان مشروع المستر تشمبرلين قبيل تقلد رئاسة الوزارة ان تنفق بريطانيا على تعزيز قواها ٧٥٠٠ مليون جنيه في ثلاث سنوات فتبين خلال هذه السنة ان المبلغ سيكون اقرب الى ٢٥٠٠ مليون جنيه منهُ الى ١٥٠٠ مليون ومع ذلك عاد المستر تشمبرلين من مونيخ وهو يقول انهُ لا بد من القوة حتى نستطيع ان نعزز كلمة انكلترا بالمقام اللازم في مجامع الدول وهذا يعني ان انكلترا لم تنل على جانب كاف من الاستعداد الحربي عندما اشتدت ازمة سبتمبر الماضي — بل الدول الصغيرة ترهق جميع مواردها وترهن هي والكبيرة ، مستقبل الاجيال القادمة لكي تكدس طائرات وقنابل واسلحة ، يعلم جميع متقدمي العلوم والمخترعات الحديثة انها اذا كانت من الطبقة الاولى الآن فانها ستصبح قديمة لا يؤبه لها كثيراً بعد سنوات . وقد اصيب القطر المصري بهذه الموجة الطاغية فتعرض من ناحية ما يقضيه الواجب وتحتمه المصلحة القومية لاعباء مالية ثقيلة ، وقد تكون مرهقة

كانت الحضارة تباهي بأن رفع مستوى المعيشة غرض تطلبه الحكومات بكل ما في جهدها ولكن الجهد عاد لا يجدي كثيراً في هذه الايام ، لان ما ينفق جزافاً على التسلح ، قد بدأ يؤثر

في دول بينها حيث هبط مستوى المعيشة هبوطاً محسوساً ، ولا بد ان يؤثر عاجلاً أم آجلاً في الشعوب الاخرى . وهذا وحده كاف — اذا لم ينشب حرب تحصد الاخضر واليابس — لان يراجع اهل الحل والربط انفسهم فيما يكبدونه لشعوبهم وللاجيال التي تليهم في حين يتفقدون امم يعززون الهية ويرفعون العلم . ان ذرة واحدة من الفلسفة تكفي لاقناعهم بأن كل ذلك باطل ولكن اينما في بلاد كانت وهيجل ؟ أينها في بلاد سرفنس اوريليوس وتوما الاكويني ؟ اينها في قارة افلاطون ؟ إلى هذا انتهى تعاليم الفلاسفة وغيرهم من بناة الحضارة ؟ إما الى هدنة مسلحة واما الى قتال مدمر ؟ انكلترا تنفق ما يزيد على ٥٠٠ مليون جنيه في السنة ، وفرنسا مايقرب من ذلك ، والمانيا ما هو اقرب الى الالف منه الى نصفه ، وأميركا لا تتكلم على ميزانيتها الا بالارقام الفلكية . حتى بولندة قررت انفاق ثمانين مليوناً من الجنيهات علاوة على ميزانية الدفاع العادية ، وايطاليا المرهقة بتعبير الحبشة وتوفية نفقات حربها فيها ونفقات متطوعيها في أسبانيا ، ماضية في الاضافة اضافات كبيرة الى أسطولها الجوي وأسطولها البحري معاً . لقد غدا العالم وهو في غمرة التسلح هذه ، وهو كأنه طائرة سريعة مندفعة بأقصى سرعتها . فاما أن تمضي في سبيلها لتبقى في الجو واما ان تهبط وتتحطم اذا وقف محركها فجأة . اما الحل الوسط ، وهو ان يأخذها سائقها بالرفق فيخفف من سرعتها قليلاً قليلاً حتى اذا استطاع الهبوط الى الارض فعل ذلك آمناً مطمئناً — فأين من يعنى به من أقطاب الحكومات ؟ ان حوادث السنة الماضية تقنطنا بان صوت العقل قد خفت — خلالها على الاقل — وارتفع صوت الغريزة المسعورة

اقطاب الرجال

— كانت الخسارة الكبرى بين اقطاب الامم ، في السنة الماضية في وفاة كمال أتاتورك منشىء تركيا الحديثة . ومن غريب ما يسجله التاريخ ، انه مرض في اكتوبر مرضاً أشفى فيه وقطع الامل منه ، ولكنه تغلب على المرض بعزمه أن لم يكن بسليم جسمه ، فاستطاع ان يعيد مع امته العيد الخامس عشر للجمهورية التركية في ٢٩ اكتوبر الماضي ، ثم عاوده المرض ، وكأنه قضى آخر لبانته من الحياة باشتراكه في هذا العيد ، فأسلم الجسد الفخر الى التراب والروح الى خالقها

— وخسر جميع المشتغلين بالشؤون العالمية على اساس التعاون المثل في عصبة الامم الدكتور ادوار بنش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، الذي استقال بعد ان رأى الصرح الذي بناه على محالفة فرنسا وصداقة انكلترا قد انهار بعوملها . ولعله حين يخرج من عزلته يكون وهو خارج منصة الحكم عاملاً افعل في العودة بالعالم الى مهبع العقل والتعقل منه وهو فيها

— اما زيارة رجال السياسة فقد اصبح حادثاً لا نعلم مدى ما تعلقه به من شأن ولكن زيارة الملك جورج والملكة اليزابث لفرنسا تخرج عن الزيارة المألوفة وكذلك زيارة امير هتلر لايطاليا . فالثانية كانت في مايو والاولى في يوليو ، وكان لكليهما مغزى سياسي واضح

***

من الطبيعي ألاَّ نكون قد اجملنا في هذه الصفحات الموجزة جميع حوادث السنة الماضية ولكننا نعتقد اننا اجملنا اهم الحوادث التي كانت ذات شأن في التيارات السياسية العامة ، فنحن لم نشر بكلمة واحدة مثلاً الى حادث الخلاف بين روسيا واليابان في اغسطس الماضي على موقع نوكنج ، ولا على خلافهما المتجدد في آخر كل سنة على المصايد . وقد اهملنا كذلك رحلة الملك كارول الى غرب اوربا ، ومصرع رئيس الحرس الحديدي الروماني كودريانو ، ونشر تقرير لجنة ودهد الفلسطينية ونبذ الحكومة البريطانية مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل الملكية والدعوة الى مؤتمر يعقد في لندن لحل المشكلة الفلسطينية ، ولمحنا الى غيرها تلميحاً فقط ، والعذر في ذلك باد . فالغرض ليس ان نعد سجلاً للحوادث المختلفة بل ان تنظر نظرة عامة الى الاتجاهات الرئيسية

وكذلك ختمت السنة الماضية ، وفي جوها غيمة قاتمة — غيمة الخلاف بين ايطاليا وفرنسا — تنذر بأن تتسع رقعة وتزداد قتاماً في مستهل السنة الجديدة ، ولذلك تتوقع الدوائر السياسية ازمة دولية من الدرجة الاولى بين يناير وأوائل الربيع ، اخلف الله ظنهم ، ورقى العالم شر هذه الازمات المتكررة

كلما أنبت الزمان قناة ركّب المرء في القناة سنانا
ومرادُ النفوس أصغر من ان تتعادى فيه وان تفانى
غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهـــوانا
ولو ان الحياة تبقى لحيٍّ لعددنا اضلّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جبانا
كلُّ ما لم يكن من الصعب في الانـــفس ، سهل فيها ، اذا هو كانا